بيّاسة Baeza

" أرض الزعفران الأندلسي "

عمر بكر محمد قطب
معيد بقسم التاريخ "شعبة التاريخ الإسلامي"
كلية الآداب – جامعة المنيا
محافظة المنيا – جمهورية مصر العربية
omar.bakr10@yahoo.com

كثيرة هي المقالات والدراسات التي تضمنت شرح حياة المدن الأندلسية وتاريخها ، ولكن هناك مدن لم تأخذ الحيز المطلوب لدراستها بشكل وافي ، وكثيراً من مدن الفردوس – الأندلس – تحتاج إلى دراسة متأنية وقوية ، ومهما يكن من مأساة ضياع هذا الفردوس ، ستظل الأندلس درة التاج في التاريخ الإسلامي ، ومن مدن هذا الفردوس ستدور هذه الدراسة عن مدينة قل الاهتمام بها في الدراسات الحديثة ، ألا وهي مدينة " بيّاسة "BAEZA" الأندلسية.

بيّاسة " Baeza " : يلفظ اسمها بياء مشددة ، تقع هذه المدينة على نهر من أشهر أنهار الأندلس وهو النهر الكبير " Guadalquivir " ، أُقيمت بياسة على كدية [١] من التراب ، وعندها يقل انحدار هذا النهر حيث تجرى المدينة في منطقة سهلية بسيطة [٢].

تعتبر مدينة بياسة من أعمال كورة جيان " JAEN " وتنضم إلى هذه الكورة بجانب بياسة مدينة "أبدة Ubeda ، يفصل بين مدينة بياسة وأبدة حوالي سبعة أميال [٣] ، وبين بياسة وجيان حوالي عشرين ميلاً ، وتمتد المنطقة السهلية بين مدينتى أبدة وبياسة إلى مسافات بعيدة حتى تظلل التلال المحيطة بالمدينتين في النهاية ، وتظهر هذه المنطقة السهلية في شكل أخضر خصب صالح للزراعة [٤] ، هكذا كانت بياسة في ظل الأندلس الإسلامية ، أما بياسة الآن فهي تقع في بسيط من الأرض ممتد من مدينة لينارس " Linarce " إلى مدينة ابدة ، مستطيلة الإرتفاع ، ذات شوارع طويلة ، يبلغ سكانها نحو خمسة عشر الف نسمة وليست بها الآن أي آثار أندلسية [٥].

فتحت بياسة - على الأرجح - على يد القائد الإسلامي العظيم طارق بن زياد في عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، فبعد الموقعة الفاصلة بينه وبين لذريك ملك القوط وهى موقعة وادي لكه التي فتحت على إثرها بلاد الأندلس ، قام طارق بن زياد بتفريق جيشه لفتح قرطبة Cordova ومالقة Malaga وغرناطة Granada ، وتوجه هو بعد ذلك إلى فتح كورة جيان التي تتبعها مدينة بياسة . [٦] وقد اشتهرت بياسة في عهدها الإسلامي الأول بأسوارها وأسواقها ومتاجرها ، والزراعات التي تكثرها وتستعمرها ، ويكثر فيها نبات الزعفران بكثرة [٧] ، حتى أن ياقوت الحموي يذكر أن زعفران بياسة هو الأشهر في بلاد الغرب [٨].

دخلت مدينة بياسة في عهد الولاة في الأندلس ، حيث أنزل الوإلى الأندلسي ابو الخطارالحسام بن ضرار الكلبى (١٢٥ هـ - ١٢٨ هـ / ٧٤٣ م – ٧٤٦ م جند قنسرين فيها واستقروا فيها بشكل خاص [٩] ، وبعد قيام الدولة الأموية في الأندلس واستقرارها في البلاد على يد الأمير عبد الله الداخل في ١٣٨ هـ / 756م ، انطوت بياسة تحت أعمال كورة جيان وأصبحت إحدى مدنها ، وفي عام ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م استولى عليها الثائر الأندلسي عمر بن حفصون [١٠] ، حيث يذكر ابن الخطيب أن مدينة بياسة كانت من المدن التي استولى عليها الثائر عندما قال: "ثم اتسع نظره حتى تملك كورة رية والخضراء والبيرة وبسطة وابدة وبياسة حتى حصن " بُلى" المطل على قرطبة" [١١] حيث كانت ثورته من أكبر الثورات التي هزت الأندلس بشكل مؤثر.

وفي عام٢٩٧هـ / ٩٠٩ م ثار في بياسة محمد بن يحيي بن سعد بن بزيل أحد الثوار على الحكم الأموي ، ففزاه الأمير الأموى عبد الله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ – ٩١٠ م) وأعاده إلى الطاعة الأموية [١٢] ، في حين دخلها الأمير الأموى عبد الرحمن الثالث قبل

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
عمر بكر محمد قطب ، بيّاسة: أرض الزعفران الأندلسي.- دورية كان التاريخية.- العدد الحادي عشر ؛ مارس ٢٠١١.
ص ٢٧ – ٣٠. (www.historicalkan.co.nr)

ولايته على الأندلس ضمن انتصاراته التي شملت دخوله جيان في ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م ، ثم لورقه Lorca في ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، ثم دخوله بياسة في ٢٩٨ هـ / ٩١٠م [١٣].

دخلت الأندلس بعد ضعف دولة بنى امية في حكم المنصور محمد بن أبى عامر (٣٧١هـ - ٣٩٢هـ / ٩٨١م — ١٠٠٢م)، فوقعت بياسة في سلطته فولى عليها أحد فتيانه المعروف باسم " زهير الصقلبى العامرى"[١٤] الذي كان يحكم هو وأخوه خيران العامرى مدينة مرسية Murcia والمرية - التي حكمها زهير بعد وفاة اخيه - وبعدها استطاع زهير ضم بياسة إلى سلطانه [١٥] وقد ذكره ابن حيان حينما قال: "لزهير في ألمرية آثار جميلة وهو الذي بني المسجد الجامع بها ، ..... ، وامتدت أطناب مملكته من ألمرية إلى قرطبة ونواحيها وإلى شاطبة وما يليها إلى بياسة إلى الفخ من أول طليطلة ، ومات في ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م [١٦].

وقد حكم بيّاسة — أيضاً- في عهد دولة بنى عامر الفتى الصقلبى المعروف بـ " الدرى " ، الذي عرف بذلاقة لسانه لذلك أوعز الحاجب المصحفي إلى المنصور بن أبى عامر بالبحث عن طريقة للتخلص منه ، ولم يكن ذلك صعباً على ابن عامر الذي انتهز فرصة شكوى أهل بياسة من الدرى ودس إليهم من أقنعهم بأنهم سوف يجدون حلاً لمشاكلهم إذا لجأوا إلى الحكومة المركزية ، فلم يتردد أهل بياسة في عمل ذلك ، وقدموا شكواهم إلى الحكومة ، فقام ابن عامر بطلب الدرى إلى مقر دار الوزارة بخصوص الشكوى المقدمة ، فلبى الدرى الأمر ، وما كاد يصل إلى دار الوزارة حتى هاله ما وجد من العسكر والجند فأحس بالشر ورغب في العودة لولا أن نهاه المنصور الذي جرت بينه وبين الدرى مشادة كلامية حدث فيها أن أمسك الدرى ابن عامر من لحيته ، فقام الأخير ودعا الجند لنجدته ولكنهم لم يتحركوا احتراماً للدرى ، فما كان من بنى برزال [١٧] الذين وصفهم دوزى بعدم الحكمة إلا أن أسرعوا للنداء العامرى وأمسكوا بالدرى وضربوه ضرباً قوياً حتى طارت رأسه من ضربة سيف أحدهم وقتل [١٨].

بعد سقوط دولة بنى عامر دخلت الأندلس فيما عرف بعصر دول الطوائف ، حيث انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة مختلفة ، كل دويلة لها حكمها المستقل ، فوقعت بياسة في قبضة دولة بنى زيرى أصحاب غرناطة (٤٠٣ — ٤٨٣ هـ / ١٠١٢ — ١٠٩٠ م) حينما استولى عليها باديس بن حبوس (٤٢٩ — ٤٦٧ هـ / ١٠٣٧ — ١٠٧٤ م) ، وذلك في عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م [١٩] ، ولقد كان لقائد باديس بن حبوس الذي يدعى " الناية " [٢٠] دور كبير في فتح بياسة ، فقد فوض باديس إلى الناية صلاحيات كبيرة في الدولة ، فأراد الناية أن يجعل لنفسه ذِكراً وثناءً في الدولة ، فطلب من ابن حبوس دخول بياسة قائلاً له " إن مداخلة بعض اهلها عندى ،... " فعارضه أحد حجاب باديس قائلاً له " لا تتعرض لها ونحن في دعة ، وكأنى والله أرى تنفق عليها الأموال وتهلك الرجال ولا تحصل على فائدة " ، ولكن الناية ألح على باديس في ذلك حتى أجابه الأخير إلى طلبه وجهزه بالرجال والأموال ، وانطلق الناية إلى بياسة محاولاً فتحها بسرعة ولكن استصعب الأمر عليه مما دفع باديس بن حبوس قطع الأموال عنه ، ولكن الناية استطاع بفضل صبره وجلده أن يفتح المدينة — بياسة — في ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢م رغم مكائد البعض من رجال الدولة [٢١].

ولقد شهدت بيّاسة- ايضاً- في عصر دول الطوائف دخول المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٣ هـ / ١٠٦٩ م — ١٠٩٠) إليها ، وقد قال المعتمد حينما دخلها - على حسب ما قاله ابن عمار أحد شعراؤه -: "إن أهلها لما بلغهم تأهبى لمحاصرتهم ، واحتفالى لمنازلتهم وعلموا أن تدبيرهم قد اضمحل في أيديهم ، ..... ، خامرهم الفزع ولم يروا طريقة أنجى ولا مهرباً أجدى بالخلاص والاستسلام إلى ، فبادروا نحوي رجالاً وركباناً .. " [٢٢].

ظلت مدينة بياسة في أيدى بنى عباد حتى استيلاء المرابطين عليها في ٤٨٤هـ / ١٠٩١م ، بعد فتحهم لقرطبة في ثالث صفر من نفس العام ، وفي عام ٥٠٩هـ / ١١١٥م تعرضت بياسة لاعتداء النصارى ، فبادر إلى مواجهتهم عبد الله بن مزدلى [٢٣] صاحب غرناطة على رأس قوة مرابطية ، ولكن النصارى استطاعوا هزيمة جيشه واستُشهد في هذه الموقعة الكثير من المسلمين [٢٤].

قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين في المغرب والأندلس في ٥٤١هـ / ١١٤٧م ، وكان لهم دور عظيم في مواجهة الأخطار النصرانية على المدن الأندلسية الإسلامية ، ويكفي أن نذكر معركة الأرك التي وقعت في عام ٥٩١هـ/١١٩٥م لندلل على هذه الجهود الموحدية ، فبعدما أسفرت هذه المعركة العظيمة في عهد المنصور الموحدى (٥٨٠- ٥٩٥هـ / ١١٨٤- ١١٩٩م) بانتصار المسلمين ، أراد النصارى استرداد بعض الظفر على جيوش الموحدين ، فقام الفونسو الثامن ملك قشتالة في ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م بجيشه وبرفقته فرسان قلعة رباح لغزو [٢٥] بلاد المسلمين ، فوصلت تحركاتهم إلى قلعة شلبطرة بعدّها قاعدة انطلاق لهم لمهاجمة البلاد الإسلامية وعلى أحواز مدن جيان واندوجر وبياسة ، مما دفع الموحدين إلى اتخاذ التدابير الخاصة للتصدى لهذه الحملة التي زاد من قوتها فرسان قلعة رباح ، فقام الموحدين بحصار قلع شلبطرة حصاراً شديداً في ٦٠٨هـ /١٢١١م حتى استسلم أهلها.[٢٦]

وقد حكم بياسة في عهد الموحدين أحد الخارجين على الدولة وهو "عبد الله محمد بن عمر" المعروف بـ" البياسى " الذي حدثت وحشة بينه وبين الخليفة "العادل بن المنصور" (٦٢١هـ- ٦٢٤هـ / ١٢٢٣- ١٢٢٧م)، فخاف عبد الله وخرج إلى بياسة وداخل أهلها وطلب منهم العون والمساعدة فأطاعوه إلى مراده ، فلم يكن من العادل إلا أن جهز اليه الجيش بقيادة "إدريس بن المنصور" ، فلما نزل إدريس بظاهر المدينة مكث اياماً للحصار ، وكان الشتاء يخيم على الموقف ، فلم يغنم إدريس من الحصار شيئاً ، فأحس عبد الله بصعوبة موقف إدريس فقام وعرض عليه الرحيل مقابل مبلغ من المال مع الصلح وأن يعطى عبد الله ابنه رهينة لضمان سير الاتفاق ، فوجد إدريس الفرصة للرحيل وعاد إلى العادل دون عمل يذكر [٢٧].

أحد حصون بياسة

لم يكن العادل ليصمت على عبد الله بكل هذه البساطة ، ومما زاد من حنق العادل عليه استعانته بروم طليطلة ضد الموحدين ، فقام العادل وجهز جيشاً آخر وولى على قيادته "عثمان بن أبى حفص" أحد قواده ، خرج عثمان حتى بلغ قبلى بياسة خلف النهر الكبير على بعد ٥ أميال من المدينة ، وبرز من جيشه القائد " محمد بن يوسف المسكدإلى " الذي استطاع دخول بياسة رغم دفاع الروم عنها وذلك في عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م ، ودخلها الموحدون بقيادة ابى حفص الذي تعجل في ترك المدينة بعد فتحها ولم يتقن تأمينها فانصرف بعد يوم من دخوله لها ، فما كان من الروم إلا أنهم عادوا مرة اخرى إلى المدينة وملكوها [٢٨].

استفحل خطر عبد الله البياسى حتى هدد قرطبة ومالقة وغيرها من البلاد الأندلسية ، وكاد يستولى على الأمر كله لو ساعده القدر على حد قول الحميرى ، وقد كان عبد الله السبب الرئيسى في دخول الروم إلى المدينة وقصبتها [٢٩] واستقرارهم فيها ، دفع هذا سكان المدينة إلى الثورة على عبد الله البياسى الذي خرج هارباً إزاء هذه الثورة إلى حصن " المدور" وأقام هناك بينما احتل الروم المدينة بشكل كامل ونهائي ، وسقطت مدينة بياسة في يد الروم في ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م. [٣٠]

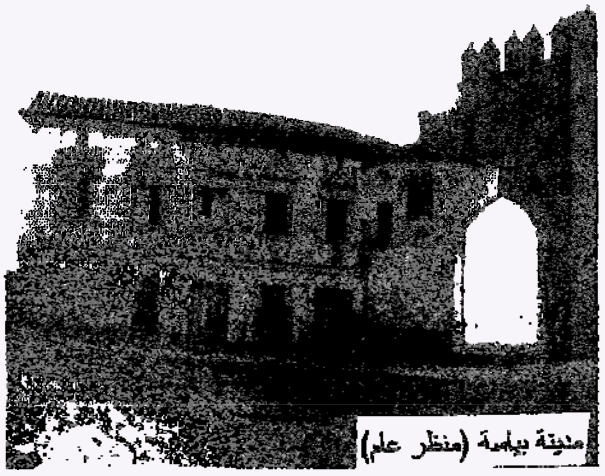
مدينة بياسة (منظر عام)

وهكذا ضاعت مدينة بياسة ضحية عبد الله بن محمد والخليفة العادل بن المنصور ، في شكل مأساوي مثلما ضاعت الأندلس كلها بهذا الشكل ، أما أشهر من نسب إلى المدينة أو زارها من أهل العلم والدين في الأندلس ، الحافظ " أبو طاهر أبو العباس أحمد بن يوسف البياسى " الشاعر الكبير والأديب المحقق [٣١] ، وأيضاً " عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن مجاهد العبدرى الكواب " وهو أشهر أهل زمانه وأتقنهم في تجويد كتاب الله العزيز ، رحل إلى بياسة وأخذ القراءات منها وتعلم على يد أبى بكر بن حسون وغيره ، وتوفي في ٦١٣ هـ ودفن بمقبرة البيرة ، وآخرهم عبد الله بن سهل الغرناطى الذي اهتم بتعلم القرآن والحديث والنحو وساير العلوم القديمة ، وقد كان له ذكر كثير في مدينة بياسة حتى إن أهل طليطلة وخاصة النصارى كانت تقصده في بياسة في مناظراته مع قساوستهم في مجالس التناظر ، وله الكثير من الأعمال الجليلة [٣٢].

وهكذا كانت مسيرة مدينة بياسة الأندلسية ، المدينة الضحية ، أرض الزعفران الأندلسي.

الهوامش

(١) كُدية: هي الأرض الغليظة حسب ما جاء في المعجم الوسيط ، صـ ٧٨٠ ، وذكرها ابن منظور في لسانه بمعنى الأرض المرتفعة من الحجارة والطين ، وتقع تحت مادة " كدا " .

(٢) محمد عبده حتاملة: " موسوعة الديار الأندلسية " ، الجزء الاول ، فهرسة وتصنيف المكتبة الوطنية ، الأردن ، عمان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩ م ، صـ ٣٣٠ .

(٣) نفسه.

(٤) محمد عبد الله عنان: " الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال " ، مكتبة الخانجى ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧ م ، صـ ٢٢٨ .

(٥) نفسه.

(٦) موسوعة الديار الأندلسية ، صـ ٣٣٠ .

(٧) شكيب أرسلان: " الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية " ، جـ ١ ، دار الحياة للنشر ، بيروت ، لبنان ، صـ ١٢٨ .

(٨) ياقوت الحموى: (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الرومي الحموي ت ٦٢٦ هـ /. ١٢٢٨ م) ، " معجم البلدان ، المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م ، صـ ٥١٨.

(٩) موسوعة الديار الأندلسية ، صـ ٣٣٠ .

(١٠) عمر بن حفصون: يدعى أبوه حفص ، من أهالى ضيعة متاخمة لحصن (آوت) المعروف اليوم باسم (أزنات) شمال شرقى مالقة ، كان جده الخامس يدعى " الفونس القوطى " ، استطاع ابوه حفص بفضل نشاطه واقتصاده أن يجمع ثروة كبيرة لنفسه ، وجرت العادة أن ينادوه (حفصون) لأن الزيادة في الاسم دليلٌ على الشرف عندهم ، وكان عمر ابنه ميالاً إلى الشجار ، متعاظماً ، عربيداً ، حتى احترف اللصوصية ، اشتعلت ثورته في الأندلس بشكل كبير حتى انتهت بوفاته في ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ، للمزيد انظر : رينهرت دوزى : المسلمون في الأندلس ، جـ ١ ، ترجمة وتعليق : حسن حبشى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٩٤ ، صـ (١٤١ - ٢٢٧) .

(١١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجى للطبع والنشر ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥م ، صـ ٣٩ .

(١٢) موسوعة الديار الأندلسية ، صـ ٣٣٠ .

(١٣) رينهرت دوزى : المسلمون في الاندلس ، جـ١ ، صـ ٢١٧ .

(١٤) هو زهير الصقلبى العامرى : أحد فتيان المنصور محمد بن أبى عامر ، خلف أخاه خيران عند وفاته على مدينة المرية ، فما ان توفي خيران حتى جمع الوزير أحمد بن عباس رجال الحل في الحكم وأخبرهم بوصية خيران في أن يخلفه اخوه في حكم المرية اذ كان يثق فيه وبولائه له ، فاتفق المجتمعون على تنفيذ الوصية ، وأجمع القوم على مبايعته أميراً عليهم في ٣ جمادى الاولى ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م ، وقد قتل زهير في أثناء حروبه مع باديس بن حبوس في ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ، وجُهل مصرعه وإن كان معظم المؤرخين يؤكدون مصرعه في قرية " الفنت " من خارج غرناطة ، للمزيد انظر : محمد ابو الفضل (دكتور) : تاريخ ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامى منذ انشاءها حتى استيلاء المرابطين عليها ٣٤٤ – ٤٨٤ هـ / م ٩٥٥ – ١٠٩١ م ، صـ ١١٥

(١٥) أحمد مختار العبادى : " الصقالبة في اسبانيا " ، صـ ١٨.

(١٦) أبى مروان بن حيان : " حيان بن خلف بن وهب بن حيان ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م " ، " من ننصوص كتاب المتين ، تحقيق : عبد الله محمد جمال (دكتور) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م ، صـ ٢٨٦ .

(١٧) بنو برزال : ينسبون إلى قبيلة زناتة البربرية ، من الخوارج الإباضية ، نزلوا بالمغرب في منطقة الزاب الأسفل حول مينة المسيلة ، انظر : حمدى عبد النعيم محمد حسين (دكتور) : دراسات في التاريخ الأندلسى" بنو برزال في قرمونة ٤٠٤ – ٤٥٩ هـ / ١٠١٣ – ١٠٦٧ م ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٠ / صـ ٤ .

(١٨) رينهرت دوزى : المسلمون في الأندلس ، جـ ٢ ، صـ ٩٠ .

(١٩) موسوعة الديار الأندلسية ، ص ٣٣٠ .

(٢٠) الناية : قائد المظفر باديس ابن حبوس ووزيره فيما بعد ، كان من قبل عبداً للمعتضد بن عباد صاحب إشبيلية ، ولما أتهم في المؤامرة التي دبرها إسماعيل بن

المعتضد ضد ابيه ، فر من إشبيلية وقصد باديس في عز دولته ، فقربه الأخير إليه ، للمزيد انظر: مريم قاسم طويل (دكتور) : مملكة غرناطة في عهد دولة بنى زيرى البربر (٤٠٣ – ٤٨٣ هـ / ١٠١٢ – ١٠٩٠ م) ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤ م ، صـ ١٥٩ .

(٢١) مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بنى زيرى في غرناطة " التبيان " ، نشر وتحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المعارف للطبع والنشر ، ط ٢ ، ٢٠٠٨ م ، صـ ٤٥ .

(٢٢) ابن بسام : (ابى الحسن على بن بسام الشنترينى ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م) : " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة "، القسم الثانى ، المجلد الأول ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، صـ ٤١٩ .

(٢٣) عبد الله بن مزدلى : تولى الأمر بعد وفاة أبيه مزدلى في ٥٠٨هـ / ١١١٤م ، حيث كان أبوه مزدلى من رجال الأمر ومن القواد العظام في عهد الأمير يوسف بن تاشفين ومن بعده الأمير على بن يوسف بن تاشفين ، حيث قام الأمير على بن يوسف عندما سمع بموت ابن مزدلى بإحضار ابنيه عبد الله ومحمد ، ثم قام بتولية عبد الله على غرناطة ، ومحمد على قرطبة ، وتم لهما الاستقرار بولايتهما في أواخر عام ٥٠٨هـ / ١١١٥م ، للمزيد انظر : سعد زغلول عبد الحميد(دكتور) : تاريخ المغرب العربى ، جـ ٤ ، منشأة دار المعارف للطبع والنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥م ، صـ ٣٩٨.

(٢٤) موسوعة الديار الأندلسية ، ٣٣١ .

(٢٥) فرسان قلعة رباح : هم جزء من فرسان الداوية الذين أسسوا جماعتهم في فلسطين إبان الحروب الصليبية ، وأبدوا مهارة فائقة في حروبهم مع المسلمين في الشام ، بعد استيلاء الملك الفونسو السابع في أواخر عهد المرابطين على عدد من القلاع والحصون ومنها قلعة رباح ، اعطى فرسان الداوية هؤلاء مهمة حماية هذه القلعة ، لذا أُطلق عليهم فرسان قلعة رباح ، ووصلت درجة قوة هذه الفرقة من فرسان الداوية إلى أن يوصى الملك الفونسو السابع المحارب بأن يخصص لهم ثلث مملكته ، ثم توسعت حركة العطاء لهم حتى أصبح لهم نصيباً معيناً من البلاد الإسلامية التى يستولى النصارى عليها ، مثلما حدث مدن وشقة وبربشتر وقلعة أيوب وسرقسطة ، بجانب أن يعفو من الخضوع إلى قضاء الملك ، مقابل أن يتعهدوا بحماية الحدود النصرانية ، كان لهذه الفرقة نصيب كبير من الهزيمة في موقعة الأرك ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م ، كما كان لهم نصيب كبير من الانتصار في موقعة العقاب ٦٠٩ هـ / ١٢١٢م التى انتهت بهزيمة المسلمين ، للمزيد عنهم ، انظر : سعد الله البشرى: " جماعات الفرسان الدينية الأسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس" ، مجلة جامعة أم القرى ، السنة ٥ ، العدد ٧ ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣م ، صـ (١٨٨ – ١٩٦).

(٢٦) سعد الله البشرى : المرجع السابق ، صـ ٢٠٢ .

(٢٧) الحميرى: (أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ، " صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار"، عُنى بتصحيحها : ليفي بروفنسال ، دار الجيل للنشر ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م ، صـ ٥٧.

(٢٨) المرجع السابق ، صـ ٥٩ .

(٢٩) قصبة بيّاسة : أى معلم مركز الحكم في المدينة ومن أشهرها قصبة غرناطة القديمة التى تقع على التل الذى يقوم عليه حالياً حى " البياسين "وهو من أشهر أحياء غرناطة ، كما توجد علاقة وطيدة بين بياسة وحى البياسين ، حيث أن تسمية هذا الحى جاءت بهذا الاسم بعد هجرة نفر من أهل بياسة اليه وسكناهم فيه بعد دخول الروم إلى المدينة ، أنظر: حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس ، مكتبة مدبولى ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، صـ ٣٨٧.

(٣٠) الحميرى : الروض المعطار ، صـ ٥٩.

(٣١) الحموى : معجم البلدان ، صـ ٥١٨ .

(٣٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، صـ ٤٠٤ .

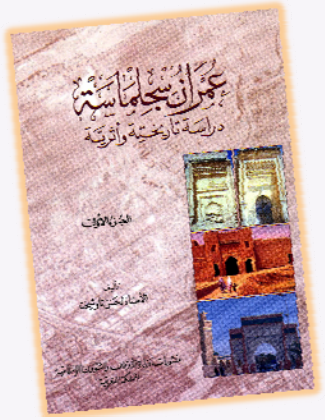

من إصدارات كُتّاب الدورية

عمران سجلماسة: دراسة تاريخية وأثرية

د. لحسن تاوشيخت

الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، جزءان

الدار البيضاء، ٢٠٠٨.

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إماطة اللثام عن التراث العمراني لمدينة مندرسة لا تزال تخبئ معظم أسرارها تحت الأنقاض. وهو تراث يمثل تراكماً غنياً يعكس تفاعل المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع المجال الطبيعي. ففي مدينة سجلماسة انصهرت عدة عناصر سكانية وامتزجت فيها تيارات مذهبية وفكرية مختلفة. ولما كان الإنسان جزءًا لا يتجزأ من المجتمع وجوهر هذا التراث، فإن ذلك يعبر عن مجموعة معقدة من العلاقات أساسها الممارسة الحياتية في جميع الميادين ويكون العمران نتاجها البارز، وهو ما ذهب إليه عبد الرحمن بن خلدون في قولته المشهورة: "إن الاجتماع البشري ضروري ... وهو معنى العمران". لذلك فالتراث العمراني لمدينة سجلماسة يمثل الذاكرة الظاهرة للأحداث التاريخية، والمكونات المعمارية ما هي إلا التعبير العياني عن منجزات الإنسان وحاجياته اعتماداً على إمكانياته ووسائله المتوفرة. وهو ما يستدعي الاهتمام بهذا التراث من كل زواياه لتدقيق المعرفة التاريخية وفهم تطور الحضارة السجلماسية في مختلف مجالاتها.

وبما أن منطقة سجلماسة تزخر بتراث عمراني متنوع ومتجذر في التاريخ لم يستوف بعد حقه من الدراسة والبحث العلمي، فقد شكل ذلك حافزًا لخوض غمار الكشف عن خباياه في هذا العمل المتواضع الذي اختير له كعنوان: "عمران سجلماسة: دراسة تاريخية وأثرية". حيث تساهم هذه الدراسة في إبراز أهمية التراث العمراني لمدينة سجلماسة، ومكانتها ضمن حواضر المغرب الأقصى. وتحديد البقايا الأثرية والمعالم العمرانية، والتحقق من مختلف المعلومات التي أوردتها المصادر التاريخية حول سجلماسة. وسيساعد ذلك على إعادة كتابة تاريخ المنطقة اعتمادًا على أسس علمية دقيقة، وبالتالي المساهمة في وضع لبنة جديدة في صرح الكتابات التاريخية.